

بِقَلْمِ ١٠. عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَبْدُ الْمَصْتُودِ
رَسْوَمٌ ١١. عَبْدُ الشَّافِقِ سَيِّدٌ
إِشْرَافٌ ١٢. حَمْدَى مُصْطَفِى



لَحْيَ اللَّهِ - تَعَالَى - بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ سَاحِرِينَ
مَلِكُ بَابِلَ ، وَأَهْلَكَ جَنُودَهُ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فَقَدْ عَصَى
بَنُو إِسْرَائِيلَ رَبِّهِمْ وَفَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ ، وَارْتَكَبُوا الْمُعَاصِي ،
فَأَرْسَلَ لَهُمْ نَبِيًّا جَدِيدًا هُوَ النَّبِيُّ أَرْمِيَا عَلَيْهِمْ وَأَوْحَى
اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ أَنَّهُ سَوْفَ يَهْلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَتَقْبَمُ
مِنْهُمْ بِذَنْبِهِمْ وَمُعَاصِيهِمْ ..

وأمره سبحانه أن يقف على صخرة بيت المقدس
ليتلقى أمر الله ووحيه في بنى إسرائيل .. فقام أرميا
على الصخرة ، وخر لله ساجدا ، ثم قال :
- يا رب ، وددت أن أمي لم تلدني ، حين جعلتني
آخر أنبياء بنى إسرائيل ، فيكون خراب بيت المقدس
وهلاك بنى إسرائيل من أجلـي ..
فأمره الله - تعالى - أن يرفع رأسه ، فرفع أرميا عليهم
رأسه وبكى ، ثم قال :
- يا رب ، من سلطـ عليهم ؟
فأوحى الله - تعالى - إليه أنه سوف يسلط عليهم عبده
النيران ، الذين لا يخافون عقابـ ، ولا يرجون ثوابـ ..
وأوحى الله - تعالى - إلى أرميا عليهم أن يقوم مع
ملك بنى إسرائيل ينصحـه ويرشـه ، بوحيـ من الله
- تعالى - ففعل أرمـا ذلك ، ولكن بنى إسرائيل لم
يتعظـوا ، ولم يتنهـوا عن إتيـان المعاـضـى ..

وأوحى الله - تعالى - إلى أرميا عليه السلام أن يجمع
بني إسرائيل ، وأن يخطب فيهم مذكرا إياهم بنعم
الله - تعالى - عليهم ، وأن يحذرهم من انتقام الله
منهم ، وسلطة عدوهم عليهم ، إذا لم يرجعوا عن
المعاصي ، ويتوبوا إليه ..

فقال أرميا عليه السلام مخاطبا ربَّه سبحانه - عز وجل - :
- يا رب ، برحمتك أصبحت أتعلم بين يديك ،
وهل ينبغي ذلك لي ، وأنا أذل وأضعف من أن يتبعني
لي أن أتكلم بين يديك ؟ ولكن برحمتك أبقىتك
لهذا اليوم ، وليس أحد أحق أن يخاف هذا العذاب ،
وهذا الوعيد مني طولا (أى كرما منه) والإقامة في
دار الخاطئين ، وهم يعصونك حولي بغير نكر ولا تغيير
مني (أى بدون أن أنكر ذلك المترک وأحاول تغييره)
فإن تعذبني فبذنبي ، وإن ترحمني فذلك ظنى بك ..

ثم قال أرميا عليه السلام :

- يَا رَبَّ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكْتَ رَبَّا
وَتَعَالَىٰتَ ، لَمْ يُخْرِبْ هَذَا الْمَسْجِدُ (يَعْنِي بَيْتَ
الْمَقْدِس) وَمَا حَوْلَهُ مِنْ الْمَسَاجِدَ ، وَمِنْ الْبَيْوتِ الَّتِي
رُفِعَتْ لِذِكْرِكَ ..

يَا رَبَّ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكْتَ وَتَعَالَىٰتَ ،
لَمْ يُقْتَلْ هَذِهِ الْأُمَّةُ (يَعْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ) وَعِذَابُكَ إِلَيْهِمْ ،
وَهُمْ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ ، وَأُمَّةُ مُوسَى نَجِيْكَ
(أَيُّ الَّذِي كَلَمَتَهُ دُونَ وَحْيٍ) وَقَوْمُ دَاوُدَ صَفِيْكَ ..

يَا رَبَّ ، أَيُّ الْقُرْبَى تَأْمِنُ عَقُوبَتَكَ بَعْدَ ، وَأَيُّ الْعَبَادَ
يَأْمُونُ سُطُوقَتَكَ بَعْدَ وَلَدِ خَلِيلَكَ إِبْرَاهِيمَ ، وَأُمَّةَ
نَجِيْكَ مُوسَى ، وَقَوْمُ خَلِيفَتَكَ دَاوُدَ ، تَسْلُطُ عَلَيْهِمْ
عَبْدَةُ النَّبِيْرَانَ ؟

فَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَىٰ - إِلَى أَرْمِيا عَلَيْهِمْ :

- يَا أَرْمِيا ، مَنْ عَصَمَنِي فَلَا يَسْتَكِرْ نَقْمَنِي ، فَإِنَّمَا
أَكْرَمْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى طَاعَتِي ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَصُونِي

لأنزلتُهم دار العاصين ، إلا أنْ أتدار كُهم بِرَحْمَتِي ..

فقالَ النَّبِيُّ أَرْمِيَا عَلَيْهِ :

ـ يا رب ، اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَحَفَظْتَنَا بِهِ ..

ـ وَمُوسَى فَرِيقَتُهُ نَحْنُ ، فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَحْفَظَنَا ،
ـ وَلَا تَخْطُفَنَا ، وَلَا تُسْلِطْ عَلَيْنَا عَدُونَا ..

ـ فَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ :

ـ يا أَرْمِيَا ، إِنِّي قَدْ سَلَّكْتُ فِي بَطْنِ أَمْكَ ، وَأَخْرَجْتُكَ إِلَى
ـ هَذَا الْيَوْمَ ، فَلَوْ أَنْ قَوْمَكَ حَفَظُوا الْيَتَامَى وَالْأَرَاملَ
ـ وَالْمَسَاكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلَ ، لَكُنْتَ الدَّاعِمُ لَهُمْ ، وَكَانُوا
ـ عَنْدِي بِمَنْزِلَةِ جَنَّةٍ نَاعِمٍ شَجَرُهَا ، طَاهِرٌ مَأْوَاهَا .. وَلَا تَبُورُ
ـ ثَمَارُهَا ، وَلَا تَنْقُطُعُ ..

ـ لَقَدْ كُنْتُ لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الدَّاعِي الشَّفِيقِ ، أَجِبَّهُمْ كُلُّ
ـ قَحْطٍ ، وَكُلُّ عَسْرَةٍ ، وَأَتَبَعَ بِهِمْ الْخَصْبَ ، حَتَّى صَارُوا
ـ كِباشًا يَنْطَحُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيَا وَيَاهُمْ ثُمَّ يَا وَيَاهُمْ ..
ـ إِنَّمَا أَكْرَمُ مَنْ أَكْرَمْتُ وَأَهَنَّ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي ..



إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ مِنَ الْقُرُونِ كَانُوا
يَسْتَخْفُونَ بِمُعْصِيَتِي ، وَإِنْ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ يُجَاهِرُونَ
بِمُعْصِيَتِي ، فَيُظْهِرُونَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ ، وَعَلَى
رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَتَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْعَارِ ، حَتَّى عَجَّتِ
السَّمَاوَاتُ إِلَيْهِمْ (أَيْ اشْتَكَتْ) وَعَجَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ،
وَنَفَرَتْ مِنْهَا الْوَحْشَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقَاصِيهَا ..
وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَتَهَوَّنُ وَلَا يَتَفَعَّلُونَ بِمَا عَلِمُوا مِنَ
الْكِتَابِ ..

وَحَمَلَ أَرْمِيا عليه السلام إِنذَارَ رَبِّهِ - تَعَالَى - إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ..
ذَهَبَ إِلَيْهِمْ فَجَمَعَهُمْ وَوَعَظَهُمْ مَحْذِرًا وَمَنْذِرًا إِيَّاهُمْ
مِنْ وَقْعِ غَضْبِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ ، إِذَا لَمْ يَتَهَوَّرُوا
عَنْ ارْتِكَابِ الْمُعَاصِي وَالْأَثَامِ ..

حَذَرُهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سُوفَ يُرْسِلُ عَلَيْهِمْ
عَبَادًا جَبَارِينَ ، يَغْزُونَ بِلَادَهُمْ ، فَيُخْرِبُونَهَا وَيُخْرِجُونَهُمْ
مِنْ دِيَارِهِمْ .. فَيُقْتَلُونَ مِنْهُمْ مَنْ يَقْتُلُونَ ، وَيَأْسِرُونَ
مِنْهُمْ مَنْ يَأْسِرُونَ ..



فَلَمَّا بَلَغُهُمْ رِسَالَةُ رَبِّهِمْ وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنْ
الْوَعْدِ وَالْعَذَابِ ، كَذَّبُوهُ وَعَصَرُهُ وَاتَّهَمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ :
— كَذَّبْتَ وَأَعْظَمْتَ عَلَى اللَّهِ الْإِفْرَاءِ ، فَتَرَزَّعَمْ أَنَّ اللَّهَ
مُعْطَلٌ أَرْضُهُ وَمَسَاجِدُهُ مِنْ كِتَابِهِ وَمِنْ عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ ؟ !
فَمَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ حِينَ لَا يُبْقَى فِي الْأَرْضِ عَابِدٌ ،
وَلَا مَسْجِدٌ وَلَا كِتَابٌ ۖ

لَقَدْ أَعْظَمْتَ الْفُرِيَّةَ عَلَى اللَّهِ ، وَأَصَابَكَ الْحُنُونُ ۖ !
ثُمَّ إِنَّهُمْ قَبَضُوا عَلَيْهِ وَقَيْدُوهُ ، ثُمَّ سَجَّلُوهُ .. وَعِنْدَ
ذَلِكَ أُوقَعَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِمْ غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ ، وَنَفَدَ
فِيهِمْ اتِّقَامَهُ وَوَعِيدَهُ ..

سُلْطَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ بُخْتَنَصَرُ ، قَائِدُ جَيُوشِ
مَمْلَكَةِ بَابِلَ ، فَعَزَّاهُمْ بِجُنُودِ لَا عَدُدَ لَهُمْ مِنْ كُثْرَتِهِمْ ،
وَلَا قُدْرَةَ لِبَنِ إِسْرَائِيلَ عَلَى التَّصْدِي لَهُمْ ، أَوْ قَاتَلَهُمْ ،
أَوْ وَقَفَ هُجُومُهُمْ ..

حاَصَرَتْ جَيُوشُ بُخْتَنَصَرِ مَمْلَكَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،

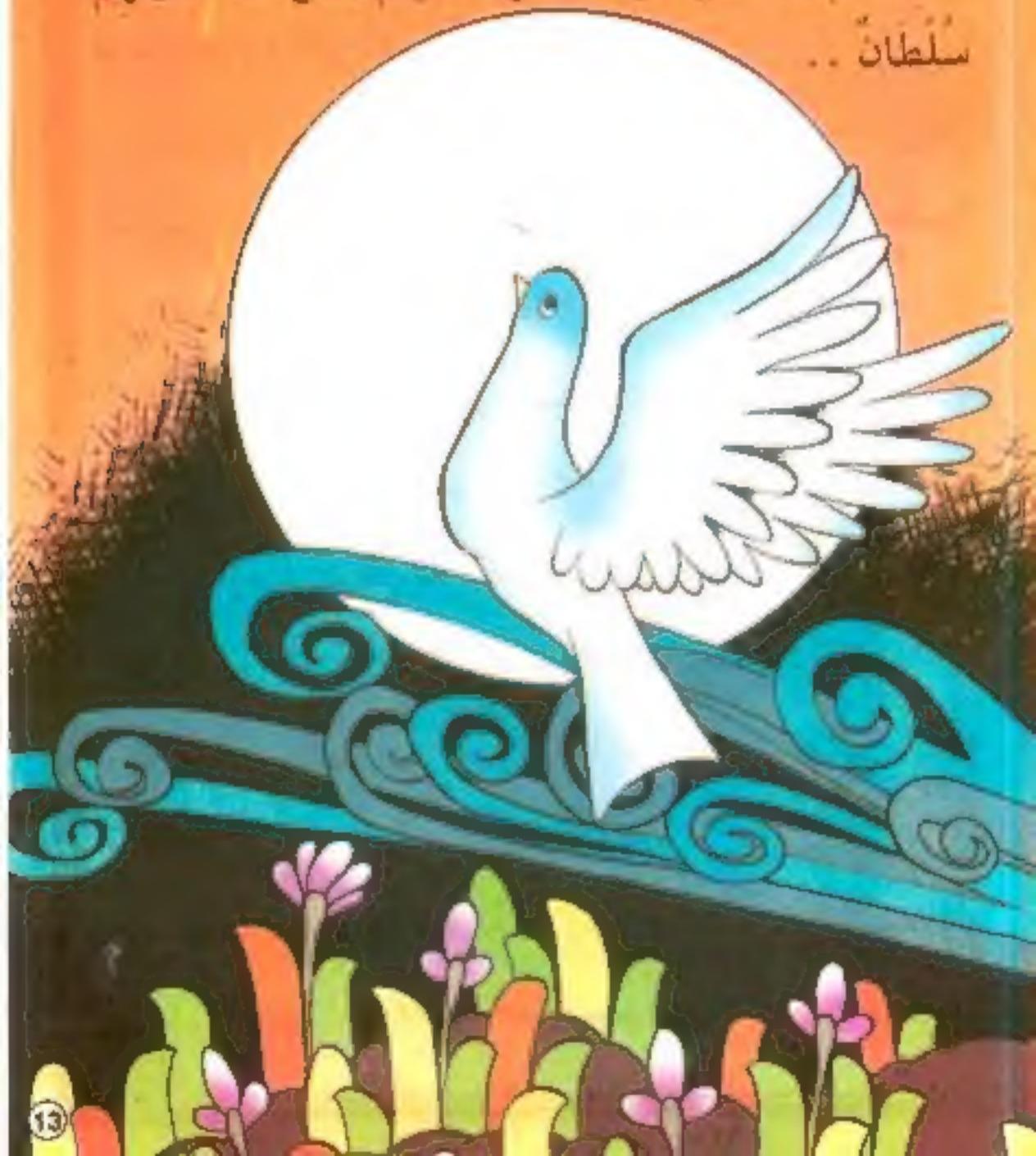
وبيت المقدس . حتى طال الحصار بسى إسرائيل
فاستسلموا له . وفتحوا الأبواب ، فاندفعت الجيوش
تحوّس حلال الديار ، وتخرّبها ..
وحكّم فيهم بختنصر حكم العاهليّة ، فقتل ثلث
شفى إسرائيل ، وهم الرجال القادرون على
حمل السلاح والفتان .

وأحد الثلث أمرى . وهم النساء والأطفال ، وترك
الثلث ، وهم الشيوخ والعجائز ودوّن العاهات ..
ولم يكتف بختنصر بذلك ، بل داسهم بالخيول ،
وأمر بهدم بيت المقدس . وساق النساء والصبيان إلى
أسواق الرقيق يباعون بيع الحواري والعيده ..
كما حرب الحصود وهدم البيوت والمساحد ، وحرق
التوراة ، كتاب الله ، الذي أنزله على موسى عليه السلام ..
فلما انتهى بختنصر من تحرير مملكة اليهود ،
كما أذرهم الله - تعالى - وتوعدهم ، حمل الأموال والكنوز
من الذهب والفضة والمحورات الثمينة ،

وساق الأسرى عائداً إلى مملكة بابل ..
ويُقال إنَّ تختصر قد علم أنَّ بنى إسرائيل كان لهم
نبيٌ يدعى أرميا ، وأنَّ الله - تعالى - قد أوحى
إليه فحدّرهم مما أصاهم ، ووصف لهم ما حدث منْ
غزو على يديه ، قل أنَّ يحدث ، وأنَّ بي إسرائيل قد
كذبوا عليهم وصربوه ، ثمَّ فيدوه وسجنه ..
ويُقال إنَّ تختصر لما علم بذلك أمر بإحراء النبيِّ
أرميا عليه من السجن ، ثمَّ سأله قاتلاً .
- هلْ كنت تحدّر هؤلاء القوم مما أصاهم على يديِّي ؟
فقال أرميا عليه السلام .
- نعم ، لقد أرسلني الله إليهم ، وأوحى إلى بذلك ..
فقال تختصر .
- بش القوم ، كذبوا عليهم ، وكذبوا رسالتي لهم ،
فهل لك أن تتحقق بي ، فأكرّمك وأواسيك ، وإنْ أحبت
أنْ تُقيم في بلادك فقد أمتلك ..

فقال له أرميا عليه السلام :

لَمْ أَرْلِ فِي أَمَانِ اللَّهِ ، مَنْذُ كُنْتُ ، لَمْ أَخْرُجْ مِنْهُ
سَاعَةً قَطْ ، وَلَوْ أَنْ سَيِّدَ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْ أَمَانِ
اللَّهِ ، لَمْ يَحْافِظُكَ وَلَا عَبْرَكَ . وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ ..



ويقال إن بختنصر قد رحل إلى بلاده ، وبقى
أرميا عليه السلام يعيش في مملكة بني إسرائيل ، والتي
صارت خرائب ترتع فيها السباع والوحش ، وتنعم
فيها اليوم والغدوان ..

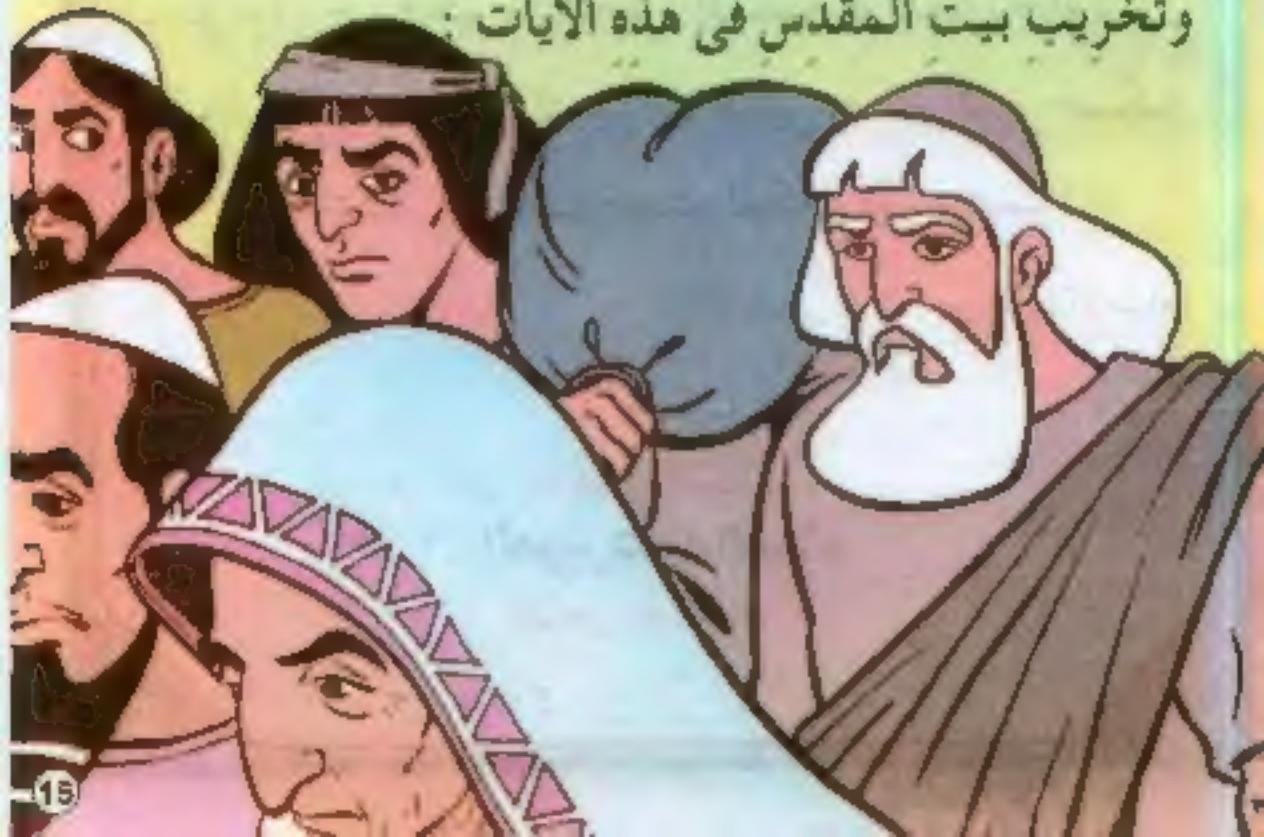
ويقال إن من بقى في مملكة بني إسرائيل من
الشيخ والعجائز والضعفاء وذوى العاهات قد ذهبوا
إلى النبي أرميا عليه السلام ، وقالوا له :
ـ لقد أخطأنا وأسأنا وظلمنا ، ونحن نتوب إلى الله
ـ عز وجلـ مما صنعنا ، فادع الله أن يقبل توبتنا ..
فدعى أرميا عليه السلام ربـه ، فأوحى الله إليه أنه غير قادرـ على فعلـ ،
فإن كانوا صادقين ، فليقيموا معك بهذه البلدة ..
ـ فلما أخرهم أرميا عليه السلام بما أمره الله - تعالى - به ،
قالوا له :

ـ كيف نقيم بهذه البلدة ، وقد حـربـت ، وغضـبـ الله
على أهلـها ، ورفضـوا أن يقيـموا بها .. ومن ذلك

الوقت تفرق بنوا إسرائيل في البلاد ، فنزلت طائفة منهم بالحجاز ، وطائفة نزلت يثرب وهي المدينة المُنورة ، وطائفة وادى القرى ، وطائفة سافرت إلى مصر ، وأخرى إلى بلاد المغرب ..

وهكذا تحقق وعد الله - تعالى - وانتقامه من بنى إسرائيل بسبب عصيانهم وكفرهم وقتلهم أنبياء الله ، وكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ، وتحريفهم للتوراة ، ونقض العهود والمواثيق مع الله ..

وقد قص القرآن الكريم قصة تحريف مملكة اليهود ، وتحريف بيت المقدس في هذه الآيات :



﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِ إِسْرَائِيلَ
 أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا * ذُرِيْهُ مِنْ حَمْلَتَنَا مَعَ نُوحٍ
 إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَيْ بَنِ إِسْرَائِيلَ فِي
 الْكِتَابِ لِتُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ مَرْتَيْنِ وَلَعَلَّنَا عَلَوْا كَبِيرًا *
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أَوْلَاهُمَا بِعَذَابٍ عَلَيْكُمْ عَادَا لَنَا أَوْلَى بِأَسْ
 شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدُهُمْ مَفْعُولًا * ثُمَّ
 رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
 وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنَّ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنْتُمْ
 لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
 لَيَسْوُءُوا وَجْهَكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوْلَ
 مَرَّةً وَلَيَتَبَرُّو مَا عَلَوْا تَبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ
 وَإِنْ عَدْتُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ .

[الآيات من ٢ : ٨ من سورة الإسراء]

(تمَّ)

الكتاب التالي
العزيز عليه السلام
احموا على افتتاحه